فوزي كريم

قارات الأوبئة

منشورات

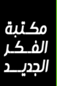






مكتبة
الفكر
الجديد


قـارات الأوبـــئـة


مكتبة
الفكر
الجديد

منشورات

اسم المؤلف : فوزي كريم
عنوان الكتاب : قارات الأوبئة
لوحة الغلاف : للفنان حافظ دروبي
الناشر : دار المدى للثقافة والنشر
تاريخ الطبع : ١٩٩٥

تصميم : محمد سعيد الصكار - باريس
اللوغو : صادق الصائغ

دار المدى للثقافة والنشر

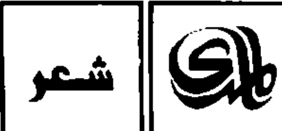
سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٧٧٧٢٠١٩٠ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢
بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

فوزي كريم

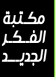
قارات الأوبئة

منشورات





الفصل الأول



قنواتٌ تحفرها الامطار ..

منعطفاتُ بيوت متراصةٍ كأقراص الخبز .

شبابيكٌ مهترئةٌ كالمناخل .

أبوابٌ تكتم أنفاسَها امام طارق الليل .

أسلاكُ كهرباء تئزّ بفعل القوى المكبوحةِ

للرغبات الطرية .

أزقّةٌ معقودةٌ كظفيرة المحارب .

دجاجة يلامسُ البشَرَةَ بالملاحم ،
وبعصا الساحر يكشفُ عن المعدنِ الزائف
للايام المتلاحقة !
أسماكٌ تقفز الى المتطلّعين وتخفي رؤوسَها
المدببةَ في ثنيات ثيابهم . وهناك تطمرُ بيوضها
وتستسلمُ للنيران .
أمواجٌ تُغرق مسامّ تطلعنا القلبي برائحةِ الاسطورة.
أمواجٌ تداعبُ الوسائدَ ساعاتِ الليل .
ومراياها تتناوبُ والشمسَ ،
على اختراق أجسادنا .
أمواجٌ تنبشُ رائحةَ الروثِ ،
الطلع َ، الطين َ،الغَرَبِ ،
الصفْصاف ، وجاغِ التنّور ،
نداء غراب البين وراء السور ،
القصبِ ، الغرّين . رائحةَ شموع الخضّر .
دماءُ النذر تخضّب نفقَ صبايَ الى الاسطورةِ

عند زقاقٍ ـ كان القمّرُ يشي بالفجـرِ ـ
تراءى لي كلكامشُ
يقطفُ من دفلى الدارِ
وردتَها
ثم يبيعُ شذاها للعطّارِ .

....

....

في ذاك اليوم ولدتُ . أبي يحتاط من الفيضان
وأمي في الغيبوبةِ . والحربُ الكبرى توشك ان
تتوقفَ فوق المفترَق الواسعِ للزمنِ المتردي .
نحن الحمقى كنا نكبرُ
دونَ محاذرةٍ ، ونلوّحُ للدفلى
في حوش الدارِ بحمى الفردِ .
فنحن كأفرادٍ كنا مختلفين يفرقنا وجهُ
الابّ ، ووجه الام يوحدنا مثل الطرفاء .
اخي معذورٌ حين يلاحقُ ولعي بالاشياءِ فيغضبُ

أمي حين تلاحقُ وجعي من وهمٍ لا يتحققُ .

معذورونَ :

فتاةُ الجارِ . وفتيانُ الحلم المنهارِ بفعل الثورةِ .

معذورون .

سخامُ الوجه نذيرٌ لا ينفكّ يشي بالليلِ الأليلِ .

بالايامِ لها شكل الاسلاكِ الشائكة .

أبي مات وأمي ماتت .

واحترقت في الدارِ الدّفلى .

معذورون : الجاني والمجني عليه .

السارقُ والمسروقُ .

الزاني والزانيةُ وراجمُ بيتهما .

معذورٌ قرصُ الشمسِ اذا داهمني معذور .

تتواثبُ قططٌ خلفَ حجابِ القَدرِ الاسودِ ،

قططٌ سودُ .

تتواثبُ خلفَ الجلدةِ حمّى ذاتُ صرير ،

خلفَ قناعِ الوجه وجوهٌ سودُ .

تتواثبُ قططٌ ، بالأظفارِ تخرمشُ وجهي .

تنبشُ عن طبقاتٍ لا تُسمعُ للصوتِ المبحوحْ .

تتواثبُ قططُ الروحْ

خرساءَ ، كأنّ البيتَ تلاشى وتلاشت

مدنٌ وبلاد .

واحاطَ بها أفقٌ مسدودُ .

معذورٌ (فتّاحُ الفال) يجسّ الحلمةَ ثم يتأتيء :

«ظهرَ الحقّ»

وتكشفُ عن نهدين بريئينْ .

معذورٌ في الحالينْ

فالرغبةُ يأكلها الدودُ !

طالعتُ « كتابَ الحيوان »
للجاحظِ وكتابَ « الشوقِ العاطرِ »
وكتابَ « وفياتِ الاعيانْ »
وكتابَ « المُستطرفِ » وعلى هامشِه
« ثمراتُ الاوراق »
ووضعتُ على الاثرِ كتابا
في « فهرسةِ الارواحِ وديّارات العزلة »
وعنيتُ الارواح الضّالةَ في انفاقِ الدولة .
ووضعتُ كتاباً في «تفسيرِ المغلقِ من آياتِ ضلالي
في الماء المسحور »
وكتابَ «تسامي النفسِ بفعلِ الكبتِ الجنسي »
وعلى هامشه اخليتُ مكاناً لكتابٍ لم اكتبه عن
المستورْ.

ولذا لمْ أؤخذْ بالصوفي ، صديقي ،
في (مقهى ابراهيم)
لم أؤخذْ بشعارِ الثوري ، صديقي ، من اجل المبدأ
وطمعتُ بكأسٍ في (كاردينيا) .
كانَ الصيفُ ثقيلَ الوطأةِ
والموتى اكثرَ تعباً تحتَ الشمس من الاحياء .
ورائحةُ العرقِ تطهرُ حاشيةَ وجودي
من عفَنِ الساعاتِ
وتخرجني لوجودٍ اصلبَ عوداً
من قشّ هتافٍ لا ينقطعُ ورايات .

« أشياء البارِ تعانقُ بعضاً :
هذي المائدةُ ، الكرسيّ ،
بقايا المازةِ ، ماءُ الثلجِ المائعِ يطفىء تحتَ حذائي
ظلّ الضوء . ودفءُ يدٍ لم يسقطْ بعدُ عنِ الكأسِ
الخالي .

هلْ تسمعُ صوتاً ؟ إن الامواج

ترتطمُ برأسي . إن الفرقَ وشيكٌ . والاشياءُ

تعانقُ بعضاً » .

تندلعُ الحربُ ويخرجُ بغداديونَ الى الاسواق

لشراءِ المؤنِ . ولدتُ اذنْ

في سنةٍ مأخذها سهلٌ .

في سنةٍ ينقطعُ بها الخلقُ الى رائحةِ الجثثِ :

أشمّ شواءَ الفخذِ المحترق . يقولُ الصوتُ المبحوحُ :

« الخائنُ بالفخذِ المحترقِ » . يصبّ النفطَ فتأتلقُ

النارُ وتعلو رائحةُ اللحمِ البشري . خرجتُ أنا

وأخي هتّافين . رأينا عورةَ هذي الدنيا فضحكنا .

وفتحنا في الجسدِ المغلولِ نوافذَ للرائحةِ .

توارت فينا .

صيفُ الثورةِ ذو رائحةٍ تشبه هذا . قالَ أبي :

«من لاحقَ مقتولا فليخشَ الرائحةَ !»
أبي لا يخطىء . كانت سنةً مأخذها سهلٌ .
ينقطع بها الخلقُ الى رائحةِ الجثثِ . وفيها انقطعَ الوصلُ الواهنُ بيني والرائحةَ وبيني والمرحلةَ وبيني والنظرية .

الصيفُ يشي بثيابِ البغدادي .
تضيء نجومُ العسكرِ فيه
وتخرجُ عند الفجرِ على هيئةِ إكليلٍ من شوكٍ
يوضعُ فوقَ الرأسِ الاشيبِ للجمهور .
الرأسُ الاشيبُ ارشيفٌ لبياناتِ الثورة .
ومعَ الثورةِ تنمو الفتنُ المـــرّة .

والشعرُ ، حليقَ الرأسِ ، على رابيةٍ يرعى الاشياء

ريفيّا فضفاضَ الثوب

وجميلا حينَ تغيبُ الشمسُ وميالا للعزلة

وله رأيٌ في الاشياءِ إذا شاءْ .

« انسجمُ مع الريحِ وهذا طبعي » .

والشعرُ يغادرُ ، حين يضيقُ ، الى القممِ البيضاءْ .

الشعرُ يغادرُ ابداً .

وقفاه بفعلِ الجفوةِ مألوفٌ .

سأحاولُ طيرةَ ابن الرومي .

أحاولُ بيتاً يسكنه العرّافُ بشعرِ ابي الطيّب .

معْتقَلاً في أقفاصِ ابي تمّام .

ويتيماً يرعى الثمرَ المنكرَ في بستانِ ابي نواس ،

محزوناً في سقْطِ الزنْدِ . وأنزلُ شأنَ البغداديّ

الى أقبيةِ الممرورينَ المنتبذينَ ظلالَ الفاقَةِ .

كان ابنُ نباتةَ يخرجُ من قبْوٍ في(الشورجة)

في صحبةِ رائحةِ بهارٍ وديون :

كيفَ السبيلُ الى الغِنى   والبخلُ عندَ الناسِ فِطْنَه

ونبتْ بنا ارضُ العـــراق   فمــا محنّـاها بمحنـــه
غيـــر الرحيل ......

ويتبعه في السرّ ابو الحسنِ السّلامي ، وظلّ ابن سكّرَة
خفيفاً مثلَ مهرّجٍ سرك فوقَ الجدران :

تهتَ علينــا ولستَ فيـنا   ولــيّ عهـدٍ ولا خليـــفه
فتِه وزدْ مــا عليّ جـــارٍ   يقْطَعُ عنّي ولا وظيفـــه
ولا تقُلْ ليسَ فيّ عيْـــبٌ   قدْ تُقْذفُ الحرّةُ العفيفه
والشعرُ نارٌ بلا دخــــان   وللقوافي رُقَىً خفيفـــه
كم من ثقيلِ المحلّ سـامٍ   هوتْ به احــرفٌ خفيفه
لو هُجيَ المسْكُ وهو اهلٌ   لكـلّ مدحٍ لصـــارَ جيفه

ثمّ يرددُ ضحكتَه ابنُ الحجّـاج :
هربتُ من موطنـي الى بلـدٍ   قدْ صفّرَ الجوعُ فيه منقاري

صفرَ فيه الجوعَ المنقارَ ! تضجَ ببيروت الاشعار .
تضجّ السوقُ . يضجُ اللحنُ المسروقُ .
يضجّ البحرُ بوعدٍ لمْ يألفه الهاربُ من تنديدٍ في
الاحداقِ .
رقاقُ سيوفِ الوطنِ تدغْدغُ خاصرتي .
ويعانقُ عنقي حبلُ الاشواق .
أحاولُ انْ أترصّدَ وجـهَ فتاةِ الحجرِ .
ألوّنُ بالفرشاةِ السرّةَ
والنهديْن . وأفتعلُ جنوناً بيروتيْ الطابعِ تأخذُني
من ياقَةِ هلَعي وتبعثرُني فوقَ مقاهي (الروشةِ)
مثلَ رذاذِ البحرِ .
احاولُ أنْ اتجنّبَ أروقَةَ الصحفِ لأصفو
لبهارِ الأقبيةِ . أحاولُ أن لا أترجّلَ عن فرسِ الاشياءِ
يخبّ بحقلِ الذاكرةِ .
أحاولُ أن أخلو بظلامِ المتوسّطِ .
أجلسُ فوقَ الجرفِ وأرسلُ ساقيّ ببئرِ الاصواتِ .

أحسّ الزغبَ الدافئَ للحيواتِ الغامضةِ يمسّ
أصابعَ قدميّ.
أُحاولُ، وأنا في مفترقِ الحسّي وغيرِ الحسي،
معانقَةَ الخالد .
كانَ ظلامُ المتوسطِ مرآةً لمقاهي الروشة.
للعقدِ المتلالئ في العنقِ العاجيّ لبيروت.
أحدّقُ مأخوذاً ومعي بطحةُ عرَقٍ
وبقايا رائحةٍ لفتاة الحجر .
أغادرُ بيروتَ كما غَادرتُ الوطنَ بوعدٍ لمْ يألفه
الهاربُ :

تندلعُ ...
ستندلعُ الحربُ
تندلعُ ، ستبدو خيمتُها
غبراءَ تهرّ بها قطَطٌ
سوداء، وتتركُ رائحةً
للشَبَقِ ....

نرتَقَ بالأسمالِ ثقوبَ الخيمةِ . كمْ تتراصّ الجثثَ ،
ويبدو العَفنُ كئيباً ! كمْ تتراءى للناظرِ عن مبعَدَةٍ
هالةُ قتلاها
قمراً فضيّاً ! أصداءاً

الحربُ رحىً
الحربُ غَشوم

الحربُ أوّلُ ما تكونُ فتيّةً
تسعى بزينتها لكلّ جهولِ
حتّى اذا حميَت وشبّ ضرامها
عادت عجوزاً غيرَ ذاتِ خليلِ
شمْطاء جزّتْ رأسها وتعرّضت
مكروهةً للشمّ والتقبيلِ

واحاولُ عبثاً ان أكترثَ ببغداد .
حصارُ التركِ طويلٌ .
جُزّت فيه رقابٌ .
وتفرّدَ دجلـةُ بالجثثِ وبالرايات .
ومن ثقبَ السورَ أصابوه أسيراً . كثُرَ الاسرى .
وامتدّت في الباب الشرقي حبالُ الشنقِ .
امتدّت مثل حبالِ الشنق
رقابُ صغارِ الجندِ . الصيفُ ثقيلُ الوطأةِ ، والموتى
أكثر تعباً تحتَ الشمسِ من الاحياء . ورائحةُ العرَقِ
تطهّرُ حاشيةَ وجودي من عفَنِ الساعاتِ وتخرجني
لوجودٍ اصلبَ عوداً من قشّ هتافٍ
لا ينقطعُ ورايات .
رأيتُ نساءاً يلهثْنَ وراء صحونِ حساءٍ ،
شبّاناً يلغونَ
بجرحِ الربّ ، وأطفالاً يلهونَ بأحذيةِ الجندِ .
وما بينهما تقفُ الساعةُ بلهاءَ

: نموتُ ويحيا الوطنُ . تصرّ الشمسُ

كأسلاكٍ فوقَ الراياتِ . نموتُ ويحيا الوطنُ .

تجفّ بفعلِ الشمسِ دماءُ القتلى في منحدَرِ الشفتينِ.

نموتُ ويحيا الوطنُ . نموتُ ويحيا الوطنُ .

نموتُ ويحيا الوطنُ . نموتُ ويحيا الوطنُ .

نموتُ ويحيا الوطنُ . نموتُ ويحيا الوطنُ .

نموتُ ويحيا الوطنُ . نموتُ ويحيا الوطنُ .

نموتُ ويحيا الوطنُ . نموتُ ويحيا الوطنُ .

نموتُ ويحيا الوطنُ . نموتُ ويحيا الوطنُ .

نموتُ ويحيا الوطنُ . نموتُ ويحيا الوطنُ .

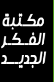
تضجّ الشمسُ . يضجّ غبارُ الشمس .

يشدّ الطفلُ حذاءَ الجنديّ المشنوقِ ، يشدّ الطفلُ .

فتطولُ الرقَبَةُ والحبلُ .

ويطـــــــــولُ الليـلُ .

الفصل الثاني



كمْ تورطتُ في محن
وكتبتُ القصائدَ ، عاريةً من شوائبِ روحي ،
وموحلةً في جروحي ،
ومفتونةً بالرحيلْ .

واحترقتُ كثيراً .
ولم أستحلْ قطعةً من جليدٍ بفعلِ
انطفائي الطويلْ .

حينَ يختمرُ الفجرُ
والليلُ يسحبُ أذياله مثلَ جاريةٍ في رواقٍ ثملْ
أتصيّدُ وجه الملاك
أتصيّدُ غفلَتَه

وأباهي به غفلةً في الطبيعة :
كمْ توهّمتُ دجلَـةَ محتفياً وهو غيرُ مبالٍ ،
وكمْ أتوهّجُ بالعشبِ والعشبُ أعمى
وأنشجُ كالطفلِ فوقَ احتضارِ الزهورْ !

انني لنْ أحيطَ الطبيعةَ بالاقنعة
وأقدّسَ غفلَتَها المفزعة
مثل فزّاعةٍ للطيورْ !

استعيدُ البلادَ تلوّحُ مثل حبالِ الغسيلْ .
أستعيدُ الكلابَ الطريدةَ والقططَ السائبة
وهي تنبشُ في تربةِ المدن الخائبة
عن بقايا قتيلْ .
أستعيدُ الحمارَ الذي يصلُ الريفَ بالحاضرة
في زريبةِ جاري .
أستعيدُ الذي اقتيدَ فجـراً

وبادلني النظرةَ الساخرة .

أستعيدُ الملاكَ الذي هو صنو الفراغ .

.... فقريباً تبعثرني الاسئلة .

الفصل الثالث



يرتادُ في بغـداد خمّارةً تسألُ عن فتيّها الناحلِ

كمْ موجةٍ ذلولةٍ أدمنت شراعَه البالي وكم ساحلِ

يرتادها ويحتسي خمرها ولا يجيب دعوة السائلِ

لم تعد الكأسُ فماً حائراً ينطقُ من وحي فمٍ زائلِ

ولا دماً يكشفُ في نزفه الملحَّ عن هويّةِ القاتلِ

ولا جناحيْ ولدٍ جانح يكسرُ مرآةَ أبٍ عاقلِ

خمّارةً تأهلُها عصبةٌ غريبةُ الوجه على النادلِ

أتتْ كما يُطرَقُ بيتٌ مع الفجرِ ، وتُلقى جثّةُ الراحلِ

باردةً .

من أين جاءوا ومن همو ؟ وهلْ من فرجٍ عاجلِ ؟

يخرجُ الى دجلةَ وعلى الرصيفِ يبصرُ كلكامش متنكراً:

« ما حلّ على هذه الارض يحلّ ثانيةً وثالثةً ،
يحلّ رابعةً وخامسةً ، يحلّ سادسةً وسابعةً ، وثامنةً
وتاسعةً يحلّ .
ويحلّ من جديدٍ ما استطعمته هذه الارضُ من
الروع .
أيامُ الكائنِ معدودةٌ . وأعماله أنفاسُ ريح .»
« ولكنك متنكرٌ كلكامش ! »
« بقناعِ الحاضرِ .
ففي هذه المدينة يموتُ الانسانُ مغموماً
في القلب . وفي القلبِ يأسُه وهو يهلك » .
«وماذا يتراءى لك ؟ »

« أطلّ عبرَ الجدارِ فأبصرُ الاجسادَ تطوّفُ في النهرِ وأنا بين الاجساد . وأعرفُ هذا عن يقين لانّ الاطولَ بين بني البشر لن يطولَ السماءَ . والاعظمَ لن يقدِرَ على احتضانِ الارض » .

« ولكن أيّ جدار ؟ »

« جدارُ الماضي »

« حلمٌ انكيدو مريعٌ وآياتُه باطلة :

ـ كلْ انكيدو الخبزَ فهو قوامُ الحياة . واشربْ الخمرَ فهو عرفُ هذا البلد ـ قالت البغيّ .

أكل وشربَ واستطار نشوةً .

دبّت رائحةُ الفرات في

مفاصلِه وتعرّقَ جسدُه بفعلِ رائحةِ الطلْع .

كلكامش هلْ تذكر الديدان ؟

حلمنا مريعٌ وآياتنا باطله .

خذْ هذه الشوارعَ التي تدبّ كالسلاحف .

وابدأ ، ان شئتَ

من مطلعِ شارعِ الخمّارةِ هذه . عَبْرَ الجسور الاثمةِ والاعمدة البلهاء . تقحّم ثيابنا جميعاً ، نحن أنصاف الاحياء ، واختبرْ حواسّنا باستثناء السادسة فقد تعفّنت » .

واستيقظتُ . شارعُ أبي نؤاس أول الفجر . مقاعدُ الخشبِ مبتلّةً . مقاعدُ مقاهيه الخشب مبتلّةً . مبتلّةً مشاتلُ الصفصاف في منحدرات الرمل . مبتلةً وصدئةً مرصّعات

المقاعدِ وأعمدة الاضاءة . مبتلّةً رائحةُ الشواءِ وقد طرحتها أنداءُ الليلِ ثقيلةً على التراب . الحواجزُ الخشبيةُ بين مقهىً ومقهىً وخمارةٍ أو رصيف . الحواجزُ التي احتجبت بأليافِ المتسلقاتِ والانسجةِ المتراكمةِ للمناكب . ابتلّت هي الاخرى واستحال البللُ فيها زيتاً داكناً . من خلايا الزيت تنبعثُ رائحةُ الرطوبةِ تخفقُ على أبي نؤاس .

شارعِ أسرارنا المحبب .

من بعيدٍ ترى البللَ كثيفاً كمرايا ممطرةً تشفّ فيها غلالةُ أول الضوء .

الغلالةُ مبتلّةٌ وكذلك الرحمُ الذي يشي بالولادة . تطقّ الثنيات المبلولةُ ويزدحمُ الخَرَسُ .

بللُ الاسفلت بكرٌ . قد

يمرقُ سمّاكٌ بمد قليل . سكّيرٌ جفّلته الصحوةُ المبكرةُ فغادر مصطبةً من المصاطبِ

ورائحةُ خشبِها الرطب في أذيالِه .

قد تمرقُ درّاجةٌ هوائيةٌ دون راكب .

كلبٌ تستحثّه رائحةُ الفُتات .

مخلوقٌ ضالٌ لا هوية له .

أجلسُ منتصباً على المصطبةِ وقد انقضى الليلُ .

استدرتُ مستدركاً الى الخلف حيثُ الرصيفُ الاخرُ والخماراتُ المتراصّةُ .

نفضتُ عن ثيابي رطوبةَ الليل .

وخطفتُ الكتابَ والكرّاسَ الصغيرَ من على خشبةِ المقعدِ

ورحتُ مسرعاً باتجاهِ (كاردينيا) . كانت مقفلةً ولا أثرَ للغريب ولا لرائحته الغريبة . وضعتُ جبهتي على واجهةِ (كاردينيا) الزجاجيّة . ورحتُ أطالعُ عتمةَ الخمارة . هناكَ لم أجد ما أتطلّعُ اليه .

هناك لم أجد ما أصبو اليه .

الفصل الرابع

(سبع قصائد)

ـ ١ ـ

النادِلُ يبصرُ وحلاً في نعلي المطّاطْ
عرقَ استمناءٍ فوقَ جبيني
ويشمّ روائحَ تفلتُ من إبطيّ كأجنحةِ الوطواطْ ،
فيخفّ اليّ .

الصيفُ يعبثني
في أن أنتهكَ حقولاً لم تُنتَهك
أو أدخل هيئةَ مخلوقٍ في زمنٍ آخر .

جاري يلتقطُ نواياي
يعبئها في فوّهةِ مسدّس
يطلقُها شائعةً لرجالِ الامن .
وأنا أخشى أن يُفهَمَ سرّي خطأً

فأعبيءُ فوّهتي وأُجنْ .
أنطلقُ بأجنحةِ ملاكْ
في الافقِ الرائقِ لاراكْ
بيتاً لم يُهدمْ بعدُ ، ونخلاً لم يُسجنْ
ومياهاً تملأها الاسماكْ ،
فأخفّ اليك ....

....

النادلُ يبصرني فيخفّ اليّ
منتصفُ الليلِ يحلّ عليْ
وعلى جاري .
مروحةُ الخمّارةِ تلصفُ في الاحداقِ وفي الاقداحْ
وتذرّ رمادَ الخدرِ على الارواحْ .
وتقطّرُ مسبحةً بين السبابةِ والابهامْ
كدمِ الايامْ .
والنادلُ تنهكه العادةُ كالجرذِ المبلولْ .
وانا أترددُ بين الحلْمِ وبين الحالمِ كالبندولْ .

ـ ٢ ـ

لو تعجّلتُ ، لو خطفتُ مداداً
من فمِ الطير ، لو تخذْتُ رفيقا
من رصيفٍ أضعته وارتميتُ
في مدارِ الجنون ، كنا التقينا .
كان في جعبتي من الزادِ ما يكفي كلينا :
تمـرٌ ، رغيفٌ ، وموتُ !

أيّها السّاكن الكلامَ
وهلْ تفلتُ من ذي الكلامِ حرّاً طليقا ؟
فتحلّى بسقطةِ النجمِ واتركْ
لمدارِ الجنونِ منك بريقا .
ساهراً كمْ كتبتُه ومحوتُ .
مثلما تَكتبُ المياهُ على الرملِ أو تكتبُ العواصف.

-٣-

تتدفعُ الكتائبُ .

تكشفُ عن فلولِها الارانبُ الجافلة ،

رائحةُ المعدنِ والماعزُ ذو الثعنون .

رصاصةً تكشفُ عنها ،

رايةً (كم هتكتْ عذريةَ النائمِ في الظل !)

رجالٌ قُتِلوا اذ قَتَلوا ألفاً من المرات .

بدوٌ بثياب الجنرالات يحيطونَ بلاداً

جفَّ فيها دمُ أهليها فلا يكشفُ عن

سرِّ نزيفٍ بعدُ لم يهدأ ،

بدوٌ مستريبون يحيطون رماداً :

هلْ ترى تندلعُ النارُ ،

يحطّ الكردُ من منحدَرِ الماء ،
... مع الماعزِ يأتي الكردُ ، يأتون
معا .

عربيّ أنا
وثيابي غـريبة.
والذي بيننا
ـ حيثُ تزدادُ أنت احتراساً ـ
لفائفُ تبغٍ وريبة.
وكلانا احتراس .
فالّتخفْ يا أخي فأنا خائفٌ .

ـ ٤ ـ

ليس لي أن أقللَ من شأن لهوك يا رغباتُ

ليس لي أن أشدّ رقابَ الخيول التي جمحتْ

وتوارت وراءَ السحب .

سأُطيلُ احتراقي

وأبعثُ بيني وبينكِ هذا الدخانْ

كي يصيرَ المكانْ

كالسديم ، وتبرأُ فيك الحياةُ .

إن جيلي تزاحمه فتنٌ وغوائلُ ،

طرْقٌ ملحّ على الصدغِ ، يارغباتُ .

إن من هدأتْ رأسه وارتضى سكناً في بحيرة ،

والذي مات داخلَ معطفه وهو ينهشُ أحشاءه ،

والبلادُ التي قد تعودُ مراوحَ للرملِ

عابثةً في كثيب ،

ان هذا جميعاً جُفاءً ويذهبُ مثل الزبد .

ـ ٥ ـ

« نديمي أعنّي »
يقولُ المغني
« وهلْ يأسر القلبَ صوتٌ سواي .
سأكشفُ راسي
الى كلّ شمسٍ
وأنعمُ بالضوء » .

في الضوء تبدو المدينة
مياهاً ونخلا .

« نديمي أعنّي »
يعودُ المغنّي
« وقد سقطت زهرةٌ من هواي
سأكشفُ يأسي

الى كلّ كأسِ
واشربُ ...»

في الكأس يبصرُ طينة
ترِقّ وتأخذ شكلا :

أتبدو مياهاً ونخلا ،
مياهاً ونخلا !!

- ٦ -

خرجتُ أنا ونديمي بكّاءين

ورأينا عورةَ هذي الدنيا فضحكنا :

بغداد جريدةُ يوم فاتْ

ودجلةُ نهرٌ أميّ يتطلّعُ في الصفحات ولا يفهم

والنخلُ له سيماءُ الخائفِ وشحوبُ المعدمْ .

« لا تطأ الارضَ نديمي بحذائين

عزّ قدميك فهذا آخرُ عهدينا

بترابِ الارض .

غداً يتسّعُ حذاءُ المنفى لكلينا »

وصدقتُ : فدجلةُ يكتبُ تقريرا عن جسدينا .

والخمرةُ تفضحُ سرّينا

والقمرُ يراقبُ حلماً في العينين النائمتين .

والناسُ مرايا تفزعُ من بعضٍ

وصديقي سيفٌ ذو حدّينْ .

ـ ٧ ـ

قافلةٌ حلّت فوق طريق دمشق .

عجلاتٌ فوق الرمل . رئاتٌ من مطّاط

لا تتركُ أثراً ـ قال حُداةُ الليل ـ وخذْ حذراً .

ما أجملَ أن يتلاشى الكائنُ

يتلاشى .

يستبدلُ حلّته بوشاحِ مغيب الشمس

يستبدلُ ذاكرةً بحقيبةِ سفر

جسداً كالدمّلةِ بطاقيّةِ اخفاءْ .

قافلةٌ بخيولٍ حمراءْ

تقتحمُ سوادَ الليلِ الى الاسطورة .

الفصل الخامس



أُهلُ لخروجنا . للخروجِ الكبير .

أُهلّلُ للخروج قبلَ الانفجار .

قبلَ الاستعداداتِ المبكرةِ للحذر .

للمنافي المهللةِ هي الاخرى لخروجنا .

أهللُ للخروج ، فاتحاً مفاتني على اتساعها

لاغوي المدنَ المتشككة .

حداؤنا مساكنُ صفيحٍ في المنحدراتِ العاويةِ

للشمس.

من يجرؤ أن يكونَ قريناً فيهللُ كما نهلل .

نهلُ للخروج من الشرنقةِ الى حقلِ الاطفال .
نهلُ عالياً الى جداولِ مراثينا تسبقنا الى البحر .
عالياً نهلُ كما لم يهلّ أحدٌ من قبل .

آه ، قتلانا يجوبون مفاصلَنا . وعلى مراثينا يسندون
الرؤوس .
وكما تخرجُ التحديقةُ من محاجرهم نخرجُ ونهلل :
هنا المفازاتُ أكثر برّاً .
هنا ترقى الذاكرةُ أعلى الكثيب .
رغائبنا ذئابُ برارٍ ، تنبشُ ولا دم يتدفّق
ولا تُطفيء رغائبَنا غير الرمال .

نهلّلُ الى الكالحِ الذي يلي الالوان ،
من قارّاتِ الانسانِ
الى قارّاتِ الاوبئة .

الفصل السادس

(أربع قصائد)



أرديةُ الراهب

هادىء الطبعِ أدخلُ لندنَ . أدخلُ مكتبةَ المتحفِ .
أرديةُ الراهبِ تعلو بعيداً الى السقف .
منحنياتُ القبابِ تليقُ بها .
« آه من جسدٍ لا يليق »
ثمّ تهبطُ مثل مذاقِ النبيذِ العتيقْ .

صفحاتٌ تقلّبها في الرواقِ اليدُ الباردة
وصدى خطواتي يلاحقني .
« آه من خطوةٍ لا تلين »
ويحيطُ صداها السنينْ .

توكـاتــا

أدخلُ عائلةَ الاورغنِ نفقاً نفقا

وأمسّ بها الشيطانَ

أعانقُ فيه فتاةً أعرفُها ، عذراءَ

ووجهاً مثلَ قناعِ الدميةِ تتهشه الاصباغُ .

« ترى ظلماتي ؟ » تهمسُ بي

« رائحةَ العَفَنِ وأكياسَ اليأس ؟

يضيقُ الشعرُ اذا ضيّقتَ خناقي . خذ حاجتَكَ ..»

تفرّ كتوكاتا

وأنا أنتشلُ جناحين من المرآةِ ، أُحيطهما

بذراعيّ ، وأخفقُ فوقَ جلالِ الاورغنِ

كمــلاك .

الانتساب للابدية

منسوبٌ أنت لظلِّ الوقت ، وظلّك للابديةِ منسوبٌ

ياهذا ايهما تختارُ ؟

بيتٌ من طينٍ جمجُمتي .

وربيعٌ تحت حجابِ الصدرِ وقيثارٌ

في القلبِ الباكي .

وانا صيادٌ في مستنقعِ هذا العمرِ اضعتُ شباكي .

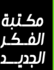
وكفاني أني لا منتظرٌ حلاً .

انتفعُ بذاكرتي

وأجنّدها في وجه الحاضرِ

حين يضيّقُ حولَ خناقي حبلا

فأصيرُ وأياها ظلاً .



عائلة

هادىء الطبع أدخلُ مرآتها الصافية .

عارياً من ثيابي ومن هاجسٍ

كان يثقلني في طريقي اليها

« كن ثيابي » .تقولْ

وصغيران بين يديها

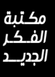
يريكاني بداءِ الفضولْ :

« ياأبانا الذي يتطلّعُ للعودةِ الثانية

كم تراها تطولْ ؟ »

وعزائي رياحٌ تهشّ قطيعَ السحب

الفصل السابع



الفجـــروشيـــك

العشبُ نديّ هذا الاحدَ ،

سأشربُ من فوّهةِ القنينةِ .

قطعةُ جبنٍ تكفي

يكفي أن تقدحَ في غليونِكَ حتّى تتدفا .

لا مقهىً هذا الاحد .

سأشربُ من فوّهةِ القنينةِ حتّى يبتلّ قميصي .

ثم يضوعُ الفجرُ ، ويفزعُ من خطواتي السنجابُ

ويُفتحُ عَبرَ ضبابِ الفجرِ البابُ وأدخلُ :

« من أنت ؟ » يقولُ الحجّابُ . أقولُ أنا

من يكتبُ شعراً ميتافيزيقياً .

ثم يخفّ اليّ الورقُ نديّاً .

هذا الاحد هجرتُ البيت قطعتُ الحدّ الفاصلَ

بين الحلمِ وبين اليقظةِ . ثم هجرتُ البيت .

قطعتُ سبيلاً لم يقطعه سواي الى الاسطورةِ .

أشربُ من فوّهةِ القنينةِ ثم تكلّ يداي .

أقاومُ رغبةَ أن أتخبّطَ بالعشب ،

لان الفجرَ وشيكٌ .

يُفتحُ عَبرَ ضبابِ الفجرِ البابُ

وأدخلُ « من أنت ؟» يقولُ الحجابُ

أقولُ انا من أكتبُ شعراً ميتافيزيقياً .

ممرورٌ صمتي . يشبه نافوراتٍ من قطن .

قدماي من الخفّةِ توشكُ أن تتلاشى في خطواتي .

كيف ألبي يا تيارَ الماء نداءك ؟

يا مروحةَ النخلِ على النهرِ ؟ سأشربُ من فوّهةِ

القنينةِ

حتى تدمى رائحتي ، وتشفّ الروحُ من الجسد .

سأشربُ نخبَ بلادٍ سيئةِ الطالع

بيتٍ في الكرخِ توارى عن نظرِ الايام ،

صديقٍ ذُوّبَ في حوض الاسيد ،

وآخرَ يرعى كالفزّاعةِ حقلَ الالغام .

أي شظايا وجماجمَ ، أسلاب يعطيها الوحلُ حظوراً

أكثفَ . لا ينقطعُ البصر عن الانفاسِ الهامدةِ .

قيامةُ أشلاءٍ هذي ؟ أم أن الفجرَ وشيكٌ !

قطعةُ جبنٍ تكفي .

يكفي أن تقدحَ في غليونك حتى تتدفا

يكفي .

لا مقهىً هذا الاحد .

سأرجعُ للبيتِ وأُنصتُ للمذياع .

تعال نعزّزُ الهوّةَ التي تخلّفها الجذور

تعال نعززُ الهوةَ التي تخلّفُها الجذور . شجرةٌ مقتلعَةٌ تتعالى .تتركُ موقعها وتتعالى . وتتلاشى شأن الدخان ولا تخلّفُ على صفحةِ الماء غيرَ ارتجافةِ الهبّةِ الباردة .

أنا وصديقي في الزورق . نختطفُ الارتجافةَ من صفحةِ الماء ، (حذّافةَ) صيدٍ فتلبطُ الاسماك ، تقفزُ وتتوارى .

اقولُ لصديقي : هل رأيتَ الارتجافةَ ، هل التفتّ للنسمةِ الباردة ؟ يقولُ رأيت والتفتُ وسمعت

الصوت الذي

صحبها .

ما أشد هدأةَ السحب وعمق الرماد فيها .أنظر!

وارتطمت على مبعدة امتار صرّةٌ من معدنٍ على

صفحةِ الماء فتفشى الزبدُ وتفشّت رائحةُ الدخان .

طفتْ الاسماكُ وجاءت هبّةٌ باردةٌ أخرى وعكّرت

صفحةَ الماء المحيط وارتبك الزورقُ . قلت لصديقي

هذا يشبه قنبلةَ مدفع طائشة، أو من طائرةٍ غير

مرئية . كانت الشجرةُ قدْ غادرت الافقَ تماماً . ولكن

وقْعَ مغادرتها المتسارع لمْ

يغادر أبصارَنا بعد . تعالَ اذن نعززُ الهوةَ التي تخلفّها

الجذور . جلستُ على خشبةِ المقعد وسط الزورقِ

وأمسكتُ

بطرفِ المجذافين ورحتُ أدفعهما في الماء والزورقُ

يتسارعُ الى ضفةِ (العبّاسيّة) . أحدّقُ كالابلهِ في

وجه صديقي

الـذي دبّ بـه الـخَـرَسُ . وعـلـى يـسـارنـا بـدا جـسـرُ

الجمهورية

لبصرينا، يغادرُ هـو الاخرُ اعـمدتَـه الاسمنتيّة النابتة

فـي الـمـاء . تـصـحـبُـه الـصـرخـةُ ويـتـلاشـى فـي الافـق .

يندسّ زورقُـنـا بـيـن الـزوارق الـمـرصـوفـة فـي الـشّـريـمـة.

نقفزُ للجرفِ ونهرولُ بأحذيتنا المنقوعةِ على السلّمِ

الاسمنتي . ومن أعلى السدّةِ

نتطلّعُ باتجاه البيت فنجده بنياً بفعلِ الـمطـرِ وزاروبه

لم يعدْ في مكانه . في رسالةٍ موقعةٍ من الصديق

وصلتني وأنا في هذه العزلة ، بعد ثلاثين عاماً ،

ان عادةَ الزورقِ لم تغادره ولكنّ

زورقاً بخارياً لاحقه واحاط به رجالٌ بالعصي

المطاط والاسلحةِ ولم تشفعْ له استغاثةٌ حتّى كاد

يفطس تحت الضرب . مياه دجلة أصبحت محرّمة

ومحرّمة رائحة الاسماك ...(العباسية) لم يعد

لها وجود . اقتلعت بيوتها ومعها اقتلعت جذورُ

أشجارها :السدرُ،التوت ،
الكالبتوس،الدّفلى،الصفصافُ ،النارنج ،
النخلُ..فلا ظلال للاسرار .
انا لم أجبه على رسالته احتراساً .
لم اذكره بصرّةِ المعدن ورائحةِ الدخان .
أنا لم أقلْ له انني سجينُ المذياع وشاشةِ التلفزيون
وقد تبدّت لبصري فيها أعمدةُ جسر الجمهورية نابتةً،
على عهدي بها آنذاك ، في المياه الجافلة .
تلك آياتنا فعلى أيّةِ عاطفةٍ أراهن ؟
أنشبُ أظفاري في بشَرةِ أعدائي وأدمي الجِلْدَةَ
الصافية . البابُ يُضربُ كما ينبضُ العِرقُ في الصدِغ.
وأنا أُخفي رأسي في أعمقِ ثنياتِ أُمي ظلاماً ودفئا .
البابُ يُطرقُ فأفلتُ من ثنيات الذاكرة ويلتقطُني عابرُ
السبيل .
والبابُ تهشّمه الضربةُ فأمسي شظايا .والبابُ يُطرقُ
فتأخذني الرّعدةُ من فقدان هويتي . والبابُ يطرقُ

فأحلّق من الروع مع دخانِ الموقد . والبابُ يُطرق
فأحلّ ، هرباً، في مفتَرَق الطرق الغريبة .
ومع الطرْق لا أجدُ ملجأ لمخاوفي . والبابُ يُطرقُ
حتى اليوم .

العشبُ نديّ هذا الاحد .
سأشربُ من فوّهة القنينةِ : قطعةُ جبنٍ تكفي
يكفي أن تقدحَ في غليونك حتى تتدفأ ..
.. يكفي ..

مرتبكٌ أنا . مرتبكٌ أمام امتداده . أمام الاسفلت
يشبه ورقا رملياً بفعل الحصى الناعم ،

والانحناءات شاحبةِ الاضاءةِ لاعمدته .
كان جسراً للملكةِ « عالية » وأصبح بفعلِ الثورةِ جسراً
للجمهورية . قطعتُ اسفلته عاريَ القدمين
قطعتُ اسفلته الى النصف وطفقتُ راجعاً وقد تخلّعت
مفاصلُ ساقيّ من الاثارة . من سلمه الجانبي وصلتُ
الترابَ يخفّ بساطاً سحرياً الى البيت .عابراً جلال
البرلمان الوديع . ومن اطلالتي على النهر أنتشلُ
السابحين .
أنتشلُ الغرينَ البابلي يغمرُ سرَرَهم .
أنتشلُ رائحةَ خيوط القنّبِ تلاحقُ الشبابيطَ في
التياراتِ الدفينة . « بزّ
بحجمِ السعلاةِ » يصرخُ أحمدُ العيسى . فينتصبُ
العراةُ على سيقانهم كاللقالق ، يفتشون عيونَ الشبكةَ
المغمورة
بعيونهم . وأنا ابن فسائل النخل ، نحزّ أليافَها
بالموسى فيضوعُ الجمّارُ ، تشدهني فجأةً رائحةُ

احتراقِ المكائد فأعضّ على أذيالِ دشداشتي
وأحلّقُ . جنحُ طائرةٍ عدوّةٍ
يخبطُ الافق فأتحاشاه وأصرخُ : الجسر ،
الجسر . فتعوي
المصابيحُ يلفّها الدوار .
وتعوي مع المصابيح بيوت الطين
المجاورة . وابي يعودُ على عادته ، ببدلته المدهّنة ،
مع العشاء . يركِنُ زورقَه البخاري على الاحجار
وينحدرُ الى البيت
متعباً .كان عاملاً من عمال الجسر . قال : حين وقع
أحدهم في الاحشاء المعدنية المدببةِ لعمود الجسر
لم يجد
للفظ أنفاسه وقتاً ولذا عاجلته الجرافةُ وطمرته
بحمولةِ الاسمنت .كان أُضحيةَ الجسر الجديد .حدث
هذا مرّةً واحدةً لا غير . ولا حقيقة وراء الميتاتِ
الاخرى . أبي كان عادلاً

بشأنِ موتى سوء الحظ . أما موتى سوء الظن فلا
عهد له بهم . لانه مات مبكراً
قبل أن يصبحَ (البرلمان)مجلساً وطنياً ،وتشيعُ في
أسماعِ حارتنا (الوشايةُ) و (البعدُ القومي) .
وأنا مع العواء لا أخرجُ من دغلِ الدخان الذي خلّفته
الطائراتُ وهي تقصفُ .
مع العواءِ كالذئبِ
...بغدادُ تكشفُ عن راحتين
مسمّرتينْ
ويمتدّ فوق الصليب المسيحُ
وبغدادُ تعوي معي :
« يا بلادَ الظما
والشجيرات خلفَ الظما تستريحُ »
وبغداد تخفي النزيفَ حياءا
وبغداد تسحب أذيالها خيلاءا
وتمضي الى ساحلٍ في المغيب .

وبغداد منفضةٌ لرمادِ الرصاصْ
وبغداد ماثلة للخلاصْ .
لماذا أرى الجندَ يمضون
والماءَ يمضي
ويمضي الجوادُ الجميلْ
لماذا يحيرني في الفراتين هذا العناق
وترهقني نزوات النخيلْ ؟
لان القباب اكتفت بالرحيل
الى حيث تمضي اللقالق !

وأنا أُحلّقُ ، خارجاً من الدغلِ،مع القباب،الاحق
استداراتها
المكحّلةِ بالزرقة . أحلّق معها عالياً
كشجرةٍ تتعالى .
تتركُ موقعها الارضي وتتعالى وتتلاشى شأن الدخان.
وهناك في محيط التلاشي الازرق رأيتُ الله .إلـهٌ له



سيماءُ العربي ، وقد ابتلّت لحيته بالدموع .

مرتبكٌ أنا ، مرتبكٌ أمام امتداده . أمام الاسفلت
يشبه ورقاً رملياً بفعلِ الحصى الناعم ،
والانحناءات شاحبةِ الاضاءةِ لاعمدته .
أحملُ قصيدتي الجديدة وألوّحُ للستينيين . أنا ابن
فسائلِ النخلِ نحزّ أليافَها بالموسى
فيضوعُ الجمارُ . تشدهني الاسرار الفتيّة لفتيان
المقاهي . تلويحةُ المناديل البيض . فراشاتٌ بيضاء
تنتشرُ فوق حقلِ الاوراق .
نحنُ ابناءُ فسائل النخل . نتزاحمُ وأياهم في
متاهةِ الرائحة : رائحة الشاي والقهوة والحامض
والدارسين والحشيشة والعرق والنفتالين والحصران
الدبقةِ

والوحل والتراب والشمس والمراوح والمخاوف
وتجليات الارواح والكتب والنملان والحيامن الاسنة
ورائحة الغرقى تنبعثُ من مجرى الاحزان .
مقهى البلديّة ، حسن العجمي ، السمر ، ،زهير،
المعقّدين ، رعد ، ياسين ، البرلمان ، أم كلثوم ،
العميان . في متاهةِ الرائحةِ نتزاحمُ .
نزلتُ الى الجمهور .
الهواءُ ساخنٌ والمارةُ بلا هدف .
انحدرتُ من الباب المعظّم الى ساحةِ الميدان ، من
الجهةِ التي تحاذي وزارة الدفاع . طائرات من الورقِ
الكالح
تهبطُ على الارصفة .
وأنا من «مقهى البلديّة » في الميدان
أقتسمُ مصيراً مجهولا
مع هذا الرهطِ الزاحفِ في منحدر الغفلة
والطعنةُ مثل الظل تلاحقهم جيلا

سكنته النارُ ، وتسكنه الان الدولة .

طائرات كالحةً تضربُ الدفاع . وأنا أسعلُ في أروقةِ (المستشفى الجمهوري) . قُتلَ الزعيم . قيل . ولكن صورته مبتسمة ما زالت على شاشةِ التلفزيون . قتله البعثيون . سحلوا جثّته من القدمين وأوثقوها على كرسيّ مثقبّةً وقالوا للجمهور : ها هو . بكتْ أمي وهي تأخذ بذراعي . وبكيتُ انا الاخر ، بسببِ الصفرةِ الشاحبة التي تفشّت كالكركم فوقَ تجاعيدها .

مرتبكٌ أنا . أشد حزامَ الامان على المدينةِ المعرّضةِ للهاوية . على المدنِ المهتوكةِ أعراضها . على اللاهثِ في المنحدر . « على النخلِ ذي السعفاتِ الطوالِ ، على سيّد الشجر » . على الدّفلى ابنةِ

الطين. على العتباتِ المقدّسة لامنا الثكلى . على الشبيبةِ التي طقّت حوصلتُها

من الوعيد . على المعاطفِ الهائمة ، والاصوات الضاجّةِ في الاقبية . على المراقِ ، طويلِ الليل . مرتبكٌ أنا ، أشدّ حزامَ الامان على امنا الارض .

الحربُ اندلعت في فجر السابع عشر

من كانون الثاني

الافقُ رماديّ

وهواءٌ عذبٌ من صحراء العرب يهبُ على حقلِ الالغام

جنودٌ ، صيادوا أحراش

قططٌ تتشبُ أظفاراً في اللحم النيىء

جمراتُ سكائرَ تومضُ مثل عيون السعلاةِ

حُداةٌ يرعون قطيعَ الغفلةِ ، وسحالى الليل الواطيء

حائرةٌ كالزئبقِ في المحرار .

يندلعُ التنورُ برأسِ الخيمةِ ، ثم تهرّ الريح

وتتشبُ أنياباً ومخالبَ ، ثم يئنّ الجسدُ وينزفُ

بغـدادْ .....

أشجارٌ من أعياد الميلادْ

تأتلقُ . تضيقُ الشاشةُ من أن تسع الطعنات

والفجرُ نديّ حين هجرتُ البيتَ

قطعتُ الحدّ الفاصلَ بين الحلم وبين اليقظةِ ثم رأيتْ

خيوطَ الفجر تحيطُ قبابَك بالانداءْ

ورأيتُ طيورَ الاعداءْ

تنقضّ وتقطع أولَ خيطٍ منه فتنتشرُ الاشلاءْ .

بغداد عويلٌ في نفقِ الابدية

بغداد لواءٌ تتوارثه الجثثُ المنسيّة

بغداد كتابٌ يقراه شبحٌ في ليلِ العزلة

بغداد مرايا لقناع القاتل .

هذا الاحد هجرتُ البيت ،

قطعتُ الحدّ الفاصلَ بين الحلمِ وبين اليقظةِ ثم

هجرتُ البيت

سأخرجُ عن عرفِ ديمقراطيتكِ الرطبةِ أيتها الازهار

عن عرفِ ضبابكَ يا جنتلمان السوق

عن زرقةِ عينيك الالمنيومية .

عن بورصةِ أهوائك ،

عن عليائك .

اني مجنون زقاقٍ في البلد المنسيّ

مجنون وحولٍ في قدمٍ صبيّ

مجنون بقاياجثثٍ تخفقُ مثل ملاكٍ في الملجأ

سوداءَ بفعلِ نواياك ولمسةِ قفازك .

ما أوحشَ ظلّي حين يقاربُ ظلّكِ يا دارَ الاوبرا

في « الكوفن غاردن »

لن أصغي لمغنيكِ : يُطمئنُ صبحاً أشيبَ فيكِ
وليلاً آسنْ .

اني مجنون الشمس الحارةِ في وطني
والليلِ الداكنْ .
والماءِ يضجّ برائحةِ الاسماك .
ما أوحش ظلّي حين يقاربُ ظلّك !
هذا الاحد هجرتُ البيتَ
قطعتُ الحدّ الفاصلَ بين الوهم وبين مراياك .
العشبُ نديّ . قطعةُ جبن تكفي .
يكفي أن تقدحَ في غليونكَ حتّى تتدفّا .
لا مقهىً هذا اليوم ... ولن أرجعَ للبيت .

الاغنيــة الاخيـرة

ساعودُ اليك

وأقولُ هنا يسكرني الكسلُ

رائحةُ المطر على الجدرانْ

عبّادُ الشمس يشبّ كأن الارواحَ

لم تهدأ فيه . أقولُ هنا

يسكرني فيء التوتِ على الاقداحَ

وأغنّي لندامى الراحْ :

يكفينا من بيتِ أبينا

من رحلوا عنه ومن قُتلوا

يكفينا فيءٌ مكتحلُ

فيءٌ في أعيننا وجلُ

يكفينا شوقُ عراقيين أضاعوا الشوقَ ولم يصلوا

وأقولُ هنا

في منحدرِك

أعلنتُ صباي

وسأُعلنُ فيه نفادَ الصبر ، نفادَ الصبر على أثركْ .

سأعودُ اليك وأنشبُ أظفاري في أحزانكْ .

وأحنّي الكفّ بأطيانكْ .

وأقولُ هنا

تسكرني قهوتُك المُرّة .

يُسكرني الاملُ .

ولو مَــرّة .

كُتبت القصيدةُ في لندن

بين ٨ / ٩٠ ـــــ ٣/ ١٩٩١

هوامش

- «فتاح الفال» ـ قارئ الكف.
- «مقهى ابراهيم» ـ مقهى الستينيين في بغداد.
- «كاردينيا» ـ خمارة على كورنيش أبي نواس في بغداد.
- «الفخذ المحترق» ـ قتل نوري السعيد مع من قتل، على أثر ثورة ١٩٥٨. أحرقت جثته وسُحلت في كل شوارع بغداد. عبرت بقاياها أمام بيتنا في محلة «المباسية»، وكان فخذاً محترقاً مشوهاً.
- ابن نباتة، أبو الحسن السلامي، ابن سكرة وابن الحجاج شعراء بغداديون من القرن الرابع الهجري.
- قصيدة «الحرب أول ما تكون فتيةً..» تنسب للشاعر الجاهلي عمرو بن معدي كرب.
- «وامتدت في الباب الشرقي حبال الشنق..» الباب الشرقي، ساحة كبيرة معروفة في بغداد، علق حولها ٣٠ انساناً بتهمة التجسس في فترتين متفاوتتين.

- شيء من كلام كلكامش، في الفصل الثالث. مستوحى من نص الملحمة.
- «توكاتا» قطعة موسيقية لعازف واحد، أشهر مؤلفيها باخ، على الأورغن، والهاربسيكورد.
- «العباسية» محلة في بغداد، على ضفة دجلة، في الكرخ. ولدت بها وعشتُ مرحلة الشباب. أُخرج أهلها عنوة والحقت بحدائق القصر الجمهوري.
- «جسر الجمهورية» وكان يسمى «جسر الملكة عالية» في العهد الملكي، أكبر جسور بغداد حجماً ضُرب بطائرات الحلفاء عام ١٩٩١.
- «البز» يطلق على ضرب من السمك، في دجلة، كبير الحجم جداً.
- «أحمد العيسى» واحد من أبرز صيادي السمك في العباسية.
- مقطع «نزلت الى الجمهور .. وتسكنه الآن الدولة»، مأخوذ من قصيدة «نداء الأمواج» ، في مجموعة «عثرات الطائر».
- «على النخل ذي السعفات الطوال على سيد الشجر» من قصيدة للجواهري.
- «كوفن غاردن» حي سياحي في لندن. وفيه دار الاوبرا الشهيرة.

صدر للمؤلف

شعر :

حيث تبدأ الأشياء	١٩٦٨	(دار الكلمة) ـ بغداد
ارفع يدي احتجاجاً	١٩٧٣	(دار العودة) ـ بيروت
جنون من حجر	١٩٧٧	(وزارة الاعلام) ـ بغداد
عثرات الطائر	١٩٨٣	(المؤسسة العربية) ـ بيروت
لا ترث الأرض	١٩٨٨	(دار رياض الريس) ـ لندن
مكائد آدم	١٩٩١	(دار صحارى) ـ بودابست
قصائد مختارة	١٩٩٥	(الهيئة العامة) ـ القاهرة
قارات الأوبئة	١٩٩٥	(دار المدى) ـ قبرص
قصائد من جزيرة مهجورة		(معد للطبع)

نثر

من الغربة حتى وعي الغربة	١٩٧٢	(وزارة الاعلام) ـ بغداد
ادمون صبري : دراسة ومختارات	١٩٧٨	(وزارة الاعلام) ـ بغداد
مدينة النحاس	١٩٩٥	(دار المدى) ـ قبرص
ثياب الامبراطور في السياق الشعري السائد		(قيد الاعداد)

فهرس



يكفينا شوقُ عراقيين أضاعوا الشوقَ ولم يصلوا

وأقولُ هنا

في منحدركِ

أعلنتُ صباي

وسأُعلنُ فيه نفادَ الصبر ، نفادَ الصبر على أثركْ.

سأعودُ اليك وأنشبُ أظفاري في أحزانكْ .

وأحنّي الكفَ بأطيانكْ .

وأقولُ هنا

تسكرني قهوتُك المُرّة .

يُسكرني الاملُ ،

ولو مَرّة .



